الى الدير الآخر. ومن ثم لا بُدّ القول ان دير مار مارون كان ارقى شمالًا كما تشهد عليهِ الآثار التي استندنا اليها

وان كانت النتائج السابقة هي صحيحة فيبقى ان تنحصر ابحاث العلماء عن دير القديس مارون منذ الآن فصاعدًا في وادي العاصي قريبًا من قلعة المضيق. فينبغي على الاثريين ان يتجوّلوا في تلك الجهات ويفحصوا الاخربة ويجمعوا التقاليد الباقية بين اهل تلك النواحي ريثما يطلعوا على موقع هذا الدير الجليل الذي احتلّهُ مئون من الرهبان الصالحين فقدّسوهُ باعمالهم وبرّ حياتهم ويشهد على ذلك المسعوديّ في كتاب التنبيه حيث قال (ص ١٩٣): «ودير مارون بنيان عظيم حولهُ اكثر من ثلاثمائة صومعة فيها رهبان وكان فيهِ من آلات الذهب والفضّة والجوهر شيء عظيم فخرب هذا الدير وما حولهُ من الصوامع بتواتر الفتن». فلا شكَّ انَّ بناء عظيماً كهذا لم يخرب دون ان يبقَ منهُ شيء من آثارهِ. وان قيل ان خرابهُ سبق القرن العاشر فيصعب وجود بقاياهُ. اجبنا انَّ هذا الدير كان موقعهُ بعيدًا عن البلاد الآهلة بالسكّان كما ان قلعة المضيق اصبحت منذ اجيال متعدّدة معتزلةً عن الطرق اللاحبة فلم يكثر فيها الخراب والنهب فلا ريب ان تكون ايضاً آثار هذا الدير الذي عُرف باسم دير البلّور باقيةً بجوارها حتى اليوم

(التتمّة لعدد آخر)

رحلة حديثة الى صان الحجر والمنزلة

للاب الملفان الخوري لوسيان لوروا (تتمّة لما سبق)

فبعد أن أجلنا الطرف في هذه الآثار القديمة جلسنا في مكان مشرف على القرية وأخربتها واعدنا النظر في ما وصلت اليهِ هذه المدينة من المنزلة السامية في القرون الغابرة

واوّل ما خطر لبالنا ان الفراعنة احسنوا اختيار موقع طانيس ليجعلوها حاضرةً لمملكتهم وذلك للطف هوائها اذ كانت بعيدةً عن البحر ورطوبتهِ المضنكة من جانبٍ

وعن حوارة بلاد الصعيد المحرقة من جانب آخر وهي مع ذلك على ضفّة النهر تتّصل بها مرافق النيل ومحصولات بلاد الشام

امّا تاريخ انشاء طانيس فغاية في القدم وقد افادنا موسى كليم الله في سفر العدد (١٣: ٢٣) انّ صوعن وهي طانيس كما سبق بُنيت سبع سنين بعد حبرون المعروفة بمدينة الخليل ونعلم انّ هذه المدينة من اقدم بلاد الله ورد ذكرها في سفر التكوين في جملة اخبار ابراهيم

امّا ترقّي طانيس في سُلّم الحضارة فانّما كان اوّلًا على عهد السلالة الثانية عشرة الثيبيّة. فزيّنها الملكان أمنحات واوسرتيسين بالابنية الفخيمة. وفيها وجد العلّامة ماريت تمثالي هذين الملكين

ثم قامت الدولة الثالثة عشرة فجعل ملوكها طانيس كتخت مملكتهم وشيّدوا فيها المباني الفاخرة لاسيّما الملكين الفازَيْن سوفْختْپو خنوفرّي ونوفرهُتپو. وقد اكتشف ايضًا ماريت تمثال الاوّل منهما في وسط اخربة صان الحجر (١

وزادت طانيس عظمًا وفخرًا على عهد الفراعنة الاسيويين المعروفين بالملوك الرعاة او الهِكْسُس. وقد استحبّوا موقع طانيس لقربها من سواحل آسيّة موطنهم الاصلي وكانت من ثمّ يأتيهم المدد فيقوون على كبح جماح اعدائهم. وجعل منشى دولتهم شلاتي جيوشهُ فوق اخربة هوارو او هواريس عند طرف البرّية شرقًا. وقد رجّح العلماء انّ هوارو هذه كانت في موقع پلوزة القديمة. وكان عدد جيوشهِ في هذا المعسكر الحصين يبلغ ٢٤٠٠٠٠ جندي تمكّن بهم شلاتي وخلفاؤهُ من بعده من فتح كلّ بلاد مصر وضبطها تحت حكمهم. امّا طانيس فصارت مركز الدولة ومقامًا لدوائرها السياسيّة وفيها كان يقيم الفرعون ايّام السلم

وقد بلغت الصناعة والفنون في طانيس مبلغًا عظيمًا لا ترى في اعمال الدول المصريّة الوطنيّة ما يتجاوزها نفاسةً. والدليل على ذلك التماثيل والدُمى وآباء الهول التي وجدها فيها العلّامة ماريت ونقلها الى متحف مصر. الّا ان هيئة صور الاشخاص تدلُّ على

١) راجع Mariette: *Abydos* 1. 2. *pl.* 28,30

سحنةٍ مختلفة عن سحنة المصريين الاصليين فانَّ عيون اهل هذا العنصر الساميّ اصغر وانوفهم يغلب عليها الصلابة والقَنَى مع بعض الفرطحة وكذلك ترى وجناتهم اكثر لحماً واضخم عظاماً وذقونهم ناتئة واشداقهم متَّسعة . ويلوح على الوجه بعض الخشونة مع ما يملوها من الشعور الكثَّة الشعثة (١

وكان دخول العبرانيين ارض مصر في عهد هذه الدولة الساميَّة . وزادهم نفوذًا عند هؤلاء الملوك وحدة الجنسيَّة وتشابه المهنة في رعاية المواشي فضلًا عمَّا ادَّاهُ يوسف من الخدم الجليلة لمصر في سني المجاعة التي سبق وانبأ بقدومها . وكلُّ ما يُروى في الاسفار المقدَّسة يؤيد راي العلماء في انَّ هذه الحوادث المذكورة في سفرَي التكوين والخروج انَّما حدثت في طانيس

ولمَّا رُقي يوسف الى رتبة وزير فرعون سعى في خدمة ولي نعمتهِ ومكَّنهُ من امتلاك الاراضي التي اقتناها من اهل مصر بما باعوهُ منهُ من الحنطة . وخدم ايضاً صوالح اسرتهِ لمَّا نال من فرعون ان يُنزل اخوتهُ في ارض جاسان لخصب تربتها وصلاحيتها لرعاية المواشي (راجع سفر التكوين ٤٧ : ٣ الخ)

على انَّ ملوك الهِكْسُس لم يلبثوا ان اثاروا عليهم حقد المصريين لما رآهُ اهل مصر فيهم من العادات المستغربة والميل لاهل جلدتهم والاشتداد في الحكم على الوطنيين . مع انَّ السياسة كانت حملتهم على اتخاذ كثير من الاحوال المصريَّة وتعبُّدهم لآلهة المصريين وتكلُّمهم بلغتهم

لكنَّ الوطنيين لم يطيقوا حمل هذا النير الثقيل على عواتقهم وكانوا ينتهزون الفرصة لتمليك دولةٍ من جنسهم . ولمَّا قام الملك « ابوفي » او « ابابي » اراد ان يدفع المصريين الى عبادة آلهتهِ الساميَّة فعاد ذلك عليهِ بالوبال

وقد وردت تفاصيل هذه الفتنة في شقَّة مخطوطة من البرديّ تُصان في المتحف البريطاني في لندن وهذا تعريبها :

« وكان تياكن قَيْلًا في الصعيد . . . امَّا الاعداء فكانوا قد استولوا على هليو بوليس ويملك زعيمهم في هواريس . واختار ملكهم ابابي لهُ الاله سوتخو كسيِّدٍ ولم يعبد سواهُ واقام لهُ هيكلًا محكماً متيناً . . . واحب ابابي ان يكرهُ تياكن على ترك عبادة

(١ راجع رسالة ماريت الى الڤيكنت دي روجه بخصوص اكتشافات طانيس

عثمون ليعبد سوتخو فلم يرضَ ». ثم يفصّل صاحب الكتابة ما جرى من الحروب بعد ذلك بين تياكن بمساعدة الامراء الوطنيين والملك ابابي وكيف دامت هذه الحرب زمناً طويلًا بين الفريقين حتى اسعد الحظّ الملك احمس من العنصر الوطني ففتح هواريس حصن الملوك الرعاة

وقد جاء في صفيحة أُخرى وُضعت على قبر ضابط يُدعى ايضاً احمس ما نصُّهُ: « وكنتُ اجري انا احمس ماشياً امام جلالة الملك. ثم ركبتُ السفينة المدعوة « الجلوس في منف » وانتشبت حربٌ بحريَّة على المياه المعروفة بمياه طانيس... في جنوبيّ القلعة... وقد فتحنا حصن طانيس عنوةً واسرتُ انا رجلًا وامرأتين فجعلهم الملك لي عبيدًا »

ولمَّا دارت الدوائر على الملوك الرعاة خرجوا من ارض مصر ورحلوا الى فلسطين. وفي تاريخ يوسيفوس اليهوديّ أنهم هم الذين بنوا مدينة اورشليم

وليست بحيرة المنزلة كما زعم البعض موقع الحرب التي ورد ذكرها آنفاً بين المصريين والملوك الرعاة لبعد هذه البحيرة عن طانيس. وزد على ذلك ان هذه البحيرة حديثة لا ترتقي الى ما وراء القرن الثاني للهجرة وكانت التربة التي تغمرها مياه البحيرة اليوم اخصب اراضي مصر. فبقي القول انَّ هذه البحيرة انَّما كانت جنوبيّ قلعة طانيس تكوَّنت هناك من مياه النيل. وهذا ينطبق مع وصف البلد في البابير المذكور. ولعلَّ الملوك الرعاة كانوا احتفروا هذه البحيرة ليردُّوا غارات اعدائهم من جهة الجنوب

وبقيت طانيس دهرًا وهي مهملةٌ خراب الى ايَّام رعمسيس الثاني الشهير (انظر صورتهُ ص ٥٥٩) فاراد ان يحييها من رمسها فعاد وجدّد ابنيتها وزيّنها بالمباني الخطيرة والآثار الفخيمة كما يشهد عليهِ عدَّة كتابات منها الكتابة التي سبق لنا وصفها. واتَّخذها رعمسيس لهُ مقاماً في ايَّام سلمهِ لمَّا كانت الحروب والفتوحات لم تشغل عقلهُ. وكذلك صنع من بعدهِ خلفاؤهُ لما كانوا يعهدونهُ في طانيس من لطف الهواء واعتدال الجوّ

ولمَّا كان بنو اسرائيل ممَّن اصابوا في ايَّام الملوك الرعاة حظوى ونجاحاً فما تبدَّلت هيئة الحكومة وعاد الامر الى نصابهِ حتى تشدَّدوا على نسل يعقوب وكاشفوهم بالعداوة

صورة رعمسيس الثاني مأخوذة عن جثتهِ المحفوظة في متحف الجيزة

واثقلوا كاهلهم بالاشغال الشاقّة واضطرُّوهم الى عمل اللبن لابتناء مدنهم. وقد اشتهر باضطهادهِ لهم ساتي الاوّل ورعمسيس الثاني ومنفتاح

ولمَّا وُلد موسى وكان حُكم عليهِ بالموت كجميع ذكور اسرائيل عرضتهُ امهُ على المياه بين القصب. ولا شكَّ انَّ ذلك كان قريباً من بلاد جاسان حيث كانت منازل الاسرائيليين. ثمَّ نعلم من الكتاب الكريم انَّ الولد عُرض بين القصب وانَّ ابنة فرعون خرجت الى المكان للاستحمام وليس يحتمل ان يكون خروجها الى مكان بعيد عن قصر والدها فكلُّ هذه الظروف لا توافق غير طانيس التي كانت تمرُّ عليها ترعةٌ من تُرع النيل. وكذلك بلاد جاسان فانَّها قريبة من طانيس اذ كانت تمتدُّ بين مدينتي الزقازيق والاسماعيليَّة الحاليَّتين فيكون موقع طانيس مجاوراً لهما. ولو قيل انَّ هذه

الحوادث جرت في عاصمة أخرى من عواصم الفراعنة كثيبة مثلاً او منف لتعدّدت المشاكل واستغلقت وقائع الكتاب بحيث لا يمكن فهمها. بخلاف طانيس فانّ اخبار سفر الخروج توافقها اي موافقة بحيث لا يشكّ العاقل ان فيها انجز الله معجزاتهِ لخلاص شعبه

ومن ثم أننا نظنّ ايضاً انّ موسى وهارون انّما دخلا على فرعون في طانيس وانّ فيها جرت الضربات العشر التي عاقب بها الله عتوّ ملك مصر وفي رواية سفر الخروج ما يُشعر بقرب حاضرة الملك من ارض جاسان. الّا انّ المزمور السابع والسبعين (وهو الثامن والسبعون في الاصل العبرانيّ) لا يبقي شكّاً في الامر حيث يصرّح بذكر صوعن قائلاً مرّتين (في العددين ١٢ (٤٣) انّ «الربّ اظهر معجزاتهِ لشعبهِ في ارض مصر في صوعن» اعني طانيس القديمة وصان الحاليّة

ففي هذه الامكنة اذن التي نطأها الآن بالأقدام ظهرت آياتهُ تعالى على يد عبده موسى. هنا انقلبت مياهُ النيل دماً. هنا ظهرت الضفادع وانتشر البعوض وضُربت البهائم بالموَتان وبُردت الغلاّت واكل الجرادُ الزروع والتحفت تخوم مصر بظلام مدلهمّ وقُتل ابكار المصريين من بكر فرعون وليّ عهدهِ الى بكر آخر عبيدهِ حتى اضطُرّ مكرهاً الى ان يُطلق اسرائيل فخرج من ارضهِ بيدٍ قديرة وبمين مبسوطة. على انّ قلب الملك عاد فتصلّب فسار بجيلهِ ورجلهِ في اثر شعب الله فانتصر الله لعبيدهِ «ومراكب فرعون وجنودهُ طرحها في البحر ونخبة قوادهِ غرقوا في بحر القلزم» (خروج ١٥ : ٤)

اما زمن هذه الحوادث العجيبة فقد ظنّ العلاّمة مسبرو انّها جرت في ايّام ستي الثاني لاضطراب امور الدولة وانتقاض حبلها على عهدهِ. الّا انّ الراي المرجّح الآن بين العلماء انّ خروج بني اسرائيل حدث في ملك منفتاح وقد سبق المرحوم الاب يوسف اوتفاج اليسوعيّ فبيّن ذلك في مقالة مستجادة أُثبتت في المشرق في سنتهِ الاولى (٨٨٠—٨٩٢) واستنادهُ فيها الى آثار متحف الجيزة وبُحوث الفراعنة المكتشفة حديثاً

وبقيت طانيس في مقامها السامي زمناً طويلاً. لانّ الحركة السياسيّة كانت لا تزال تخطو الى جهات الشمال ولذلك ضعفت ثيبة بعد عظمتها واتّسعت اعمال مصر السُفلى وزاد رونق مدنها كبوبسطة (تلّ بسطة) وسائيس الى ان فازت بالسبق مدينة الاسكندريّة. ومنّن شرّف طانيس ملوك الدولة الحادية والعشرين التي انشأها

بسيوخانو الاوّل سنة ١١١٠ قبل تاريخ الميلاد وهو الذي فتح ثيبة وضمّ نشر مملكة مصر فبسط حكمهُ على كل تخومها. ومن هذه الدولة كان بسيوخانو الثاني الذي اقترن سليمان الحكيم باحدى بناتهِ

واشتهرت ايضاً بطانيس الدولة الثالثة والعشرون التي ضبطت عنان الملك من سنة ٨١٠ الى ٧٢١ ق م. وفي عهد هذه الدولة تضعضعت الامور ووجّه اشعيا النبيّ كلام نبوّتهِ على طانيس وملكها فقال (١٩: ١١—١٣): لا جرم ان رؤساء صوعن سفهاء ومشورة مُشيري فرعون سخيفة . . . قد سَفِه رؤساء صوعن . . . واضلّ مصرَ وجوهُ اسباطها » . فما لبثت اقوال النبيّ ان تمّت وسقطت طانيس عن مرتبتها فتوالت عليها النكبات من جهة الجنوب لمّا فتحها الملكان الحبشيّان شباقو وطهارقو. وما فتئ ان استولى عليها ملك اشور اشوربنيبال فجعل عليها حاكماً ثم بلغهُ انّ اعيانها حاولوا الغدر بنائبهِ ليفتحوا ابوابها للحبش فامر بان تُنهب المدينة ويُرسل شلوداري احد وجوهها المتمرّدين مثقلاً بالسلاسل الى نينوى

على انّ هذه البلايا لم تكسر زهو طانيس فتنبّأ عليها حزقيال بما هو اعظم وتهدّدها بالحريق والدمار فصدق قولهُ بعد قليل بغزوة نبوكدنصّر لمصر ثم في غضون فتوحات ملوك فارس ومادای. على انّ طانيس احرزت لها بعض الشهرة على عهد نِكْتَانيبو ملك مصر لمّا حاصرهُ فيها احد اعداء دولتهِ اسمهُ طاهو فردّت المدينة غاراتهِ بمساعدة اجازيلاس احد ابطال مدينة سبَرْتة لكنّ الملك لم يعرف لهُ هذه النعمة فهجر اجازيلاس خدمتهُ ومات بعد قليل على سواحل بلاد قيرينيّة (Cyrénaïque)

ثم صارت الدولة الى الاسكندر فحوّل عن طانيس وعن مُدن الدلتا الشرقيّة حركة الاشغال وانتقلت السيادة الى الاسكندريّة. الّا ان طانيس لم تزل مدينة معتبرة. وجعلها الرومان رأساً لمقاطعة يدعونها نُوماً (nôme) وانتشرت فيها النصرانيّة فكان فيها كرسي لاسقف ثم تقهقرت شيئاً فشيئاً حتى عُدّت كقريةٍ في ايّام الفتح الاسلاميّ لا يدلُّ على خطرها السابق سوى تلّ الاخربة التي كانت تعلوها منذ ذلك العهد. وقد شاهدها في هذه الحالة اندريوسي قائد نابوليون الكبير سنة ١٧٩٩ ووجد فيها آثار ساحة كبرى (forum) على شكل تربيع مستطيل وليست هذه الساحة سوى اثار الهيكل القديم الذي سبق وصفهُ. وذكر ايضاً ان فيها التمر الطيّب يتاجر بهِ اهلها مع عرب الصلاحيّة يبدلونهُ بسمكهم المملّح

اما اليوم فلا ترى في صان الحجر سوى اكواخ حقيرة لبعض الفلاحين ابتنوها بلبن المدينة القديمة . وقد دعانا شيخهم الى منزلهِ لنشرب عندهُ القهوة . فاجتمع اهل القرية حولنا وكانوا يستغربون ازياءنا الّا انّهم لم يُسمعونا كلمـــة شتمٍ او احتقار كما أَلِف امثالهم في غير هذه القرية

ثم ركبنا قاربنا وامرنا الملّاحَيْن بان يصعدا قليلًا النهر . ففعلا واذا بالنهر ينقسم قسمين قسمٌ منهُ يجاور اخربة صان الّا انهُ قليل المياه لا يمكن الخوض بهِ والقسم الآخر اوسع واعمق . فما ابتعدنا عن القرية ميلًا حتى رأينا منظرًا مهيبًا وهو منظر التلّ الذي كنّا نقدّر طولهُ من الف الى الفين متر فاذا هو سلسلة ربًى مستطيلة تُرى على مدى البصر الى مسافة بعيدة . فاخذنا العجب من عظم شأن هذه البقايا الضخمة التي كانت كلُّها مباني فخيمة وعمائر فاخرة صارت الى خبر كان

وبينما كنّا نمتّع الالحاظ بهذه المشاهد اذ ظهر لنا منظر آخر على شمالنا عند طرف مزدرعات القرية وهي بحيرة جميلة صقيلة المياه في وسطها الجُزُر النضرة . وما كان الّا السراب غرَّ ثانيةً ابصارنا فأبهجها مدّةً . لكنَّ الحرَّ كان محتدمًا والشمس تتضرَّم علينا هواجرها فاسرعنا الى النزول في بقعةٍ هناك وعمدنا الى الاستحمام في النيل . غير ان مجرى النهر كان قويًا في ذلك الوقت لطغيان المياه فكاد احد رفقتي المسيو ب . يغرق مع اتقانهِ فنّ السباحة لو لم يتمكّن بعد العناء من العود الى الساحل

وقضينا ذلك النهار كلّهُ في تلك البقعة لانهُ هبّت ريحٌ شديدة في وجهنا كانت تمنعنا من السير . فتفقّدنا ذلك المكان واذا بهِ جزيرة غاية في الخصب ترى فيها القطن والذرة والدُّخن الى غير ذلك

وعند المساء سكنت الريح ولطفت وَقَدات الجوّ فركبنا القـارب لنعود الى برت سعيد . فكان مجرى النهر يزجُنا زجًا ليّنًا فصرفنا صلب ليلنا نازلين في ترعة المعزّ وكانت الليلة مقمرةً تكسو انوارها ضفّتَي النيل بمحاسن طبيعيّة لا يشبع منها النظر . وكان بلوغنا مصبّ نهر المعزّ في غدٍ عند طلوع الشمس ثم قطعنا بحيرة المنزلة متوجّهين الى المطريّة وكانت غايتنا ان نركب منها القطار صباحًا الى بلدة المنزلة . بيد انَّ القطار كان سبقنا فسار قبل وصولنا بثلاثة ارباع الساعة . فاحبّ رفقتي ان يقطعوا الطريق ماشين الى المنزلة وهم يظنُّون انّهم يدركونها بعد ساعةٍ . فسرتُ في صحبتهم في طريقٍ ترينا

المزارع واصناف الاغراس على جانبيها الّا انَّ الشمس اشتدَّت علينا بعد حين وقاسينا من التَّعب والكلال ما لا يعلمهُ الّا الله حتى ادركنا المنزلة ونحن على رَمَق

فلمَّا بردنا غليلنا واسترحنا من عنائنا المعنّي زرنا البلدة واسواقها وآثارها وقد لقينا انَّها تشبهُ في بنائها وهندستها ومساجدها الحسنة ومنائرها العالية مدينة دمياط وان كان نهرها المعروف بالبحر الصغير دون ترعة دمياط اتساعاً الّا انَّها تغلب دمياط بغضارتها وبهجة حدائقها وبُسوق اشجارها

وممَّا تذكَّرنا من اخبارها ما جرى للجنرال بونبرت فيها لمَّا حاول فتحها فردَّهُ حسَن طوبار شيخُها البطل ولم يزل يدافع عن وطنهِ تارةً لهُ وتارةً عليهِ حتى قُبض عليهِ وأُسر في القاهرة ثم اطلق الجنرال كلابر سراحهُ فعاد الى المنزلة ومات فيها في حزيران من سنة ١٨٠٠

وكان وصولنا في مساء ذلك النهار الى بوت سعيد شاكرين المولى على ما رأيناهُ في هذه الرحلة من مآثر الاقدمين. لكنَّنا اسفنا على انَّ الوقت لم يسمح لنا بزيارة جزيرتي طونة وتنّيس فاجّلنا زيارتهما لمرَّة اخرى

ذكر الابطال في حرب الترنسفال

للشاب الاديب اسكندر افندي طحيني

كنتُ عند ورودي الى جنوبي افريقية ولعاً بزيارة الاماكن التي جرت فيها المواقع بين الجنود الانكليزيَّة والبوير. وكنتُ اتردَّد على الجنود الانكليز واعجب بما ارى على صدورهم من القدد المتعدّدة الالوان دلالةً على ثباتهم في تلك الحرب العوان

وقصدت مرةً الذهاب الى كولسبرغ لزيارة المدينة وموقع القتال الذي انتشب ثمَّت بين الأمّتين فاتفق سفري مع احد الضباط الذي حضر المعركة المذكورة بصفة ضابط في المدفعيَّة فبعد ان ركبنا القطار واخذنا نتجاذب اطراف الاحاديث سألتهُ عن رأيه في القائد « دي وت » فقال: ان هذا القائد البويري يضارع اسكندر الكبير ونابليون وانيبال بدرايتهِ وحذقه ومهارتهِ في الامور الحربية ثمَّ اخذ يقصّ عليَّ هذا الخبر فقال: